مشروع ابن باز الخيري لمساعدة الشباب على الزواج

لمساعدة الشباب على الزواج

الجزء الثاني

دليل الإرشاد الأسري

الإرشاد بالمقابلة

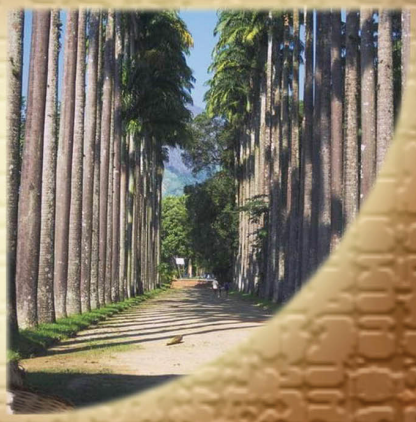

إعداد

نخبة من المختصين والمختصات

الإشراف العام

الدكتور/ عبد الله بن ناصر السدحان

المستشار الاجتماعي

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية

SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

دليل الإرشاد الأسري

(الإرشاد بالمقابلة)

شارك في الإعداد *

الدكتور/ إبراهيم بن عبد الله الدويش	الدكتور/ خالد بن يوسف برقاوي	الأستاذ/ عبد المجيد طاش محمّد نيازي
الدكتور/ أحمد بن عبد الله العجلان	الدكتورة/ سلطانة بنت محمّد معاد	الدكتور/ عمر بن إبراهيم المديفر
الدكتورة/أسماءبنت عبدالعزيزالحسين	الأستاذ/ عبد الإله بن سعد الصالح	الدكتورة/ فريدة بنت عبدالوهاب آل مشرف
الأستاذة/ حصة بنت علي الحناكي	الدكتور/ عبد الله بن حضيض السلمي	الأستاذ/ منصور بن صالح الدهيمان
الأستاذالدكتور/حمودبن فهدالقشعان	الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن سعد الجاسر	الأستاذة/ موضي بنت حمدان الزهراني
الدكتور/ خالد بن أحمد حجر	الأستاذالدكتور/عبدالله بن سلطان السبيعي	الدكتورة/ نادية بنت سراج جان

المراجعة العامة

الدكتور/ محمّد بن مسفر القرني
رئيس قسم الخدمة الاجتماعية
في جامعة أم القرى – مكة المكرمة

الأستاذ الدكتور/صالح بن محمّد الصغير
أستاذ علم الاجتماع في جامعة الملك سعود
والمستشار في وحدة الإرشاد الاجتماعي

الإشراف العام والتحرير
الدكتور/ عبد الله بن ناصر السدحان
المستشار الاجتماعي

* تمّ ترتيب الأسماء هجائياً

عبد الله بن ناصر السدحان ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السدحان، عبد الله بن ناصر
دليل الإرشاد الأسري/ عبد الله بن ناصر السدحان.
الرياض، ١٤٢٦هـ
٠٠ص، ٢١ × ٢١سم
ردمك ٤-٤٣١-٤٩-٩٩٦٠

١- الأسرة ٢ - العلاقات الأسرية أ. العنوان
ديوي ٤٢، ٣٠١ ١٤٢٦/٥٢٥٨

حقوق الطبع محفوظة
لمشروع ابن باز الخيري لمساعدة الشباب على الزواج

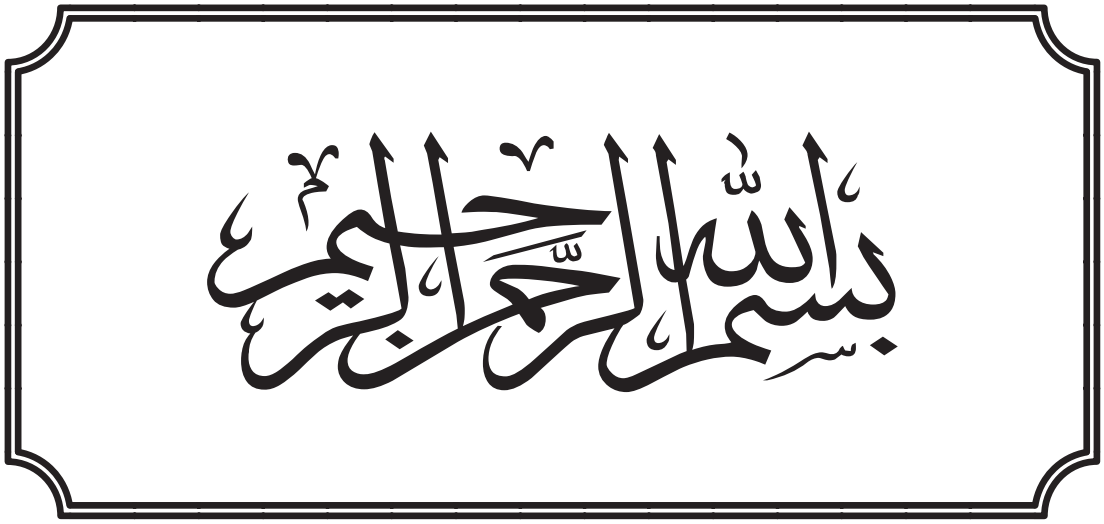

جميع الآراء والأفكار الواردة في هذا الدليل تُعبر عن وجهة نظر كاتبيها

وتتواصل مسيرة الإرشاد الأسري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . وبعد

تتواصل العطايا وتتوالى المنن من المولى – عزَّ وجَلَّ – فبعد صدور الجزء الأول من دليل الإرشاد الأسري الذي تناول الإرشاد الهاتفي لمس كثيرون أهمية التواصل العلمي والعملي في موضوع الإرشاد الأسري واستشعر الممارسون الحاجة إلى المزيد من التناول المنهجي لموضوع الإرشاد الأسري في المجتمع ، وتوالت الطلبات راغبة في الحصول على الجزء الأول من دليل الإرشاد الأسري داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، ولم يتوقف الأمر على هذا فحسب ، بل جاءت الطلبات راغبة في إعداد دليل آخر يتناول الجانب الخاص بالإرشاد بالمقابلة ليستفيد منه كل ممارس لإصلاح ذات البين في المجتمع ، وأضحى ذلك الطلب ملازماً لنهاية كل دورة تدريبية أقوم بتقديمها في هذا المجال .

لقد وُلِدَتْ الفكرة ليتلوها التنفيذ وتنتهي بالدليل الموجود بين يديك أخي القارئ ليأتي ممهداً الأمر بالحديث عن الأسرة وأهمية ترابطها وأثر ذلك في المجتمع كمدخل نظري ومنطلق أساسي في الإرشاد الأسري ، مع توصيف لبعض سلوكات المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام في حياته الأسرية ، ثُمَّ شرح موجز لواقع الأسرة في هذا العصر والمؤثرات الداخلية والخارجية على كينونة هذه الأسرة في الفصل الأول .

وفي الفصل الثاني الحديث جاء عن التوضيح العلمي للإرشاد الأسري وأهميته وأهدافه ، مع سردٍ مفصلٍ لبعض الضوابط الاجتماعية والشرعية لمن يقوم بهذه المهمة ، بالإضافة إلى وصفٍ لأنواع المشكلات الأسرية وتصنيفها من حيث طبيعتها وحجمها ، وكيف يمكن تهيئة بيئة مكانية مناسبة للعمل في الإرشاد من الناحية الاجتماعية والشرعية بشكل يتناسب وطبيعة المجتمع المسلم .

وفي الفصل الثالث ورد الحديث في فنيات إجراء المقابلة بين المرشد والمسترشد، وكيف يمكن بناء الثقة بينهما لصالح العملية الإرشادية، في إيضاحٍ لمهارات الملاحظة اللفظية وغير اللفظية للمرشد أثناء ممارسة المقابلة الإرشادية، مثلوه ببعض الخطوات المهارية لفهم المشكلة الأسرية التي يوجهها المرشد، كيفية تشخيصها وكيفية ترتيب الأولويات فيها بالنسبة للمسترشد. . . إلخ

وفي الفصل الرابع كان التوضيح لكيفية مساعدة المسترشد لتكوين البصيرة عن نفسه والمشكلات التي يعاني منها، وكيفية تحديد الأهداف الإرشادية وشروطها وآليات تنفيذها، في بيانٍ لبعض المهارات في كيفية إقناع المسترشد وآلية تقديم النصح الإرشادي له، وإيرادٍ لبعض المهارات التي ينبغي أن يلم بها المرشد لتنشيط جوانب الحب الأسري لدى المسترشدين باعتباره مدخلاً جديراً بالاهتمام في تناول المشكلات الأسرية، مع بيان لكيفية توثيق الجلسة الإرشادية والتعامل مع الحالات التي تفوق قدرة المرشد أو إمكاناته.

وفي الفصل الخامس من الدليل أوردنا بعض نماذج لمواقف إرشادية يتمّ التعرض فيها ومن خلالها لبعض التصرفات السلبية التي قد تحدث من المرشدين بقصد التنبيه عليها واجتنابها، ولبعض المواقف الإيجابية التي تحدث خلال مقابلة المسترشد مما ينبغي مراعاتها وتعزيزها لدى تعامل المرشد مع المسترشدين.

لقد كان النهج في هذا الدليل تحريراً تكون عبارته واضحة ولغته فصيحة تكشف عن مدلولها من أقرب باب وأقصر طريق بعيداً عن التعمية والإغراق والتفاصح، ولهذا أعيدت الأوراق تشكيلاً وبُنِيَتْ البحوث هيكلة في فصول لتكون متناسقة متوائمة يأخذ بعضها بأطراف بعض، فحذف المكرور واستبدلت بعض الكلمات وصيغت بعض المصطلحات في غير إخلال بمقصودها أو تغيير لمدلولها لتوافق منطق معديها وكاتبيها حيثما استخدمت في هذا الدليل لتبدو وحدة واحدة تعمل بروح الفريق الواحد في منحىً إجرائي وخطوات علمية عملية جمعت العلم والعمل وإن شئت فقل قرنت النظرية بالتطبيق في جدية صادقة ورصانة

وافية يلمسها المعتني بهذا الدليل وما احتواه، وما ذلك إلا ليحقق المستفيد عامة والمرشد خاصة الاستفادة القصوى التي من أجلها جاء الدليل بحول الله وقوته. . . وفي هذا المنحى أوردنا أمثلة توضيحية وشواهد عملية سعياً لاكتمال الصورة وبلوغاً لأقصى درجات الممارسة العملية ولئلا يكون الكلام ملقى على عواهنه. . .

ومما يلزم التنبيه عليه أنه تم إيراد المراجع والمصادر الخاصة بما ورد في هذا الدليل في نهاية كل مبحث وورقة كي لا نقطع أوصال الحديث واسترسال المترسل فيه، هذا من جانب، ومن جانب آخر مراعاة لرد الفضل إلى أهله وللأمانة العلمية في النقل والتوثيق.

وإن مما يسر الخاطر ويسعد المرء هذه المشاركة المتنوعة في التخصصات، فهناك – ولله الحمد – عشرة من المختصين والمختصات في مجال الخدمة الاجتماعية، وستة من المختصين والمختصات في علم النفس، وجماعة من المختصين في علم الاجتماع والعلوم الشرعية، من معظم مناطق المملكة، بالإضافة إلى مشاركة الأستاذ الدكتور/ حمود بن فهد القشعان أستاذ الإرشاد الأسري من دولة الكويت الشقيقة بورقة مميزة، وكان الحرص على مشاركة من قرن بين العلم النظري والممارسة العملية في الإرشاد الأسري، مما جعل المعلومات التي قدمها هذا الدليل ثرية وعلمية مرتكزة على الجانب التنظيري، معززة بالممارسة العملية والجوانب التنفيذية من خلال الإرشاد والتعامل مع المسترشدين بشكل يومي.

وأخيراً أُذكّرُ نفسي وجميع إخواني باستحضار النية الخالصة لله رغبة واحتساباً فيما عنده سبحانه عند القيام بهذا العمل المبارك – بإذن الله – الذي يمارسونه وهو إصلاح ذات البين وليكن قول الله عز وجل: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (سورة النساء:١١٤) نصب أعيننا،

مستشعرين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات) فما أجمل أن يقترن احتساب أجر العمل بالعمل، وما أعظم ثمرته ونتيجته عندما نقترب كثيراً من تمحيض النوايا لهذه المهمة العظيمة والسعي لتجريد الجهود من حظوظ النفس أو الهوى أو الشهرة أو هي جميعاً.

وكلنا أمل أن يكون هذا الدليل قد جاء في الوقت المناسب ليواكب مسيرة النهضة في العمل الاجتماعي في المملكة العربية السعودية، بصحبة قرينه الجزء الأول منه وهو الإرشاد الهاتفي لتتواصل الجهود وتتكاتف الأيادي لدفع العمل الاجتماعي بشكلٍ عام والإرشاد الأسري بشكلٍ خاص خطوة نحو الأمام مرضية الواحد العلاّم.

ولا يسعُني في تمام هذه المقدمة إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل إلى مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية لرعايتها هذا المشروع العلمي وعلى رأسهم فضيلة الشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الله الراجحي أمين عام المؤسسة ولنائبه فضيلة الشيخ/ صالح بن سليمان الهبدان وللأخ الفاضل/ عبد الله بن عبد العزيز الخريجي الذين جعلوا تلك المؤسسة المباركة – بإذن الله – تتجاوز حدود الدعم التقليدي للعمل الخيري من خلال التنوع في الدعم وتلمس مواطن الاحتياج، والشكر يتواصل إلى جميع الإخوة والأخوات الذين شاركوا بالكتابة في الدليل ومراجعته وإلى جميع اللجان العاملة في مشروع هذا الدليل، والشكر يتواصل أيضاً إلي الإخوة العاملين في مشروع ابن باز الخيري لمساعدة الشباب على الزواج في الرياض وعلى رأسهم الأخ / صالح بن عبد العزيز الجبرين الأمين العام المساعد للمشروع، وإلى الأستاذ / عبد الإله بن سعد الصالح والأستاذ / فهد بن محمد اليابس على دعمهم المادي والمعنوي لهذا الدليل وطباعته. . . نسأل الله لهم الأجر الوفير منه سبحانه ومنا لهم الشكر الكثير.

وعوداً علي بدء حيث عنوان المقدمة فلازلنا نرى أن هذا الدليل بجُزْءَيه الأول والثاني ما هو إلاَّ خطوة أولى على الطريق الطويل لتنشيط العمل الاجتماعي والإرشاد الأسري في المجتمع ، منتظرين الخطوات التالية بإذن الله من المشروع حيث الدورات التدريبية وورش العمل التي سوف تُقدم لممارسي الإرشاد الأسري . . . على طول الطريق ومشقة فيه ولكننا نسأل الله التيسير والسداد للجميع .

بارك الله في الجهود وسدد الخطى ، ونفعَ بالدليل وأثابَ الله من بذل فيه جهداً وشكر لمن أسدى نصحاً أو سدَّ خُلَّةً إنَّه سميع مجيب وبالإجابة جدير وصلى الله على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين . . . آمين .

المشرف العام على الدليل
د . عبد الله بن ناصر السدحان
الرياض فاكس: ٤٧٣٩١٧٧
E-mail:ansadhan@yahoo.com

الفصل الأول

مقدمات في الأسرة والعلاقات الزوجية

أولاً: أهمية الأسرة وترابطها في الإسلام .	د . إبراهيم الدويش
ثانياً: صور من حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم في أسرته .	د . إبراهيم الدويش
ثالثاً: أساسيات في فهم الأسرة ووظائفها .	د . عمر المديفر
رابعاً: متغيرات مهمة لفهم واقع الأسرة المعاصرة	د . عمر المديفر
خامساً: دورة حياة الأسرة .	د . عمر المديفر
سادساً: المؤثرات الداخلية والخارجية وأثرها في العلاقات بين الزوجين .	أ . د . عبد الله السبيعي
سابعاً: عوامل الانسجام في الحياة الزوجية	أ . حصة الحناكي

أولاً: أهمية الأسرة وترابطها في الإسلام

د. إبراهيم الدويش

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

إن الأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع الذي يريد الإسلام صلاحه، ويطبَّقُ فيه المنهج الذي أراده الله للإنسان، إضافة إلى أن الأسرة هي الوضع الفطري الذي ارتضاه الله لحياة الإنسان، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً**﴾ (سورة الرعد: ٣٨)؛ فالإنسان مفتقر إلى الأسرة المتماسكة في مراحل عمره جميعًا، فالطفل لا بد له من النشأة في أسرة، وإلا نما مبتور العواطف شاذ السلوك. وكذلك يحتاج الإنسان إلى الأسرة شابًّا ورجلاً وكهلاً؛ فهو لا يجد أنسه وسعادته في غيرها، بل لا ترضى فطرته بديلاً عنها، فيظَلُّ مفتقرًا أبدًا إلى حماها، متعطشًا إلى عواطفها ومشاعرها؛ فالمشاعر والعواطف التي تنمو في جو الأسرة نعمة ورحمة تقي التعاسة والشقاء، ويجعلها فضلاً من الله كالطيبات من الماء والغذاء، تدبر قول الحق: ﴿**وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾ (سورة النحل:٧٢).

إن نظام الأسرة في الإسلام يقوم على أمتن الروابط، وعلى أقوم الدعائم، في أسمى ما يتطلع إليه البشر، متى التزم الناس به وساروا على هديه استقرت أمورهم، وعاشوا في أمن وأمان، وسعدوا في الدنيا والآخرة. لكن الواقع والشواهد والأرقام تؤكد -وللأسف- بدايات خطيرة للتفكك والانهيار الأسري في كثير من المجتمعات الإسلامية، فالإنسان بدل أن يسخر الحضارة الحديثة والانفتاح واتساع التقنية لسعادته، ربما ساهم بقلة وعيه وجشعه بأن تكون هذه النعمة نقمة عليه، وسببًا في شقائه ونكده، حتى أصبحت بعض البيوتات أشبه بفنادقٍ للإيواء في أوقات الراحة فقط!! ولا غرابة في ظل هذا الركض المحموم أن يضعف مفهوم الأسرة الجميل لدى الكثير، إضافة إلى أن الأسرة المسلمة تواجهها في هذه المرحلة الحرجة، هجمات شرسة، باعتبارها الحصن الأخير للفضيلة، وتربية الأجيال، ولأنها ركيزة البناء الاجتماعي الإسلامي السليم، فهاهي الأنظمة البشرية، والقوانين الدولية الوضعية، تتخبط -وللأسف- في سنِّ قوانين همجية، تتصادم مع الفطر السليمة، والعقول النظيفة، وتحت مسمَّى تنظيم الأسرة، والتنمية والمساواة والسلام، وهي تفكيك للأسرة، وتحطيم لكيانها ولأسسها الشرعية، فهل يستطيع أحد أن ينكر أن مؤتمر (نيويورك لعام ألفين للميلاد ٢٠٠٠م) يدعو صراحة لإلغاء مفهوم الأسرة القائم على ارتباط الرجل والمرأة بميثاق شرعي إلى اعتباره متحققًا من خلال أي ارتباط بين أي رجل وامرأة، ولو بلا ميثاق ولا عقد شرعي، بل لا مانع أن تكون العلاقة شاذة؛ أيْ بين رجل ورجل، وبين امرأة وامرأة! بحجة الحرية الجنسية! والمطالبة بالحقوق الفردية! وتشريع حقوق دولية للشواذ من الجنسين! فما أعظم دين الإسلام وأطهره! فمن يتتبع نصوص القرآن والسنة يجد أن الشارع الحكيم رسم الطريق المستقيم لتكوين الأسرة بمفهومها الفطري البريء، فبين بكل دقة طريقة اختيار الزوجة، وكيفية إنشاء عقد الزواج،

وطريقة المعاشرة الزوجية، وأرشد كلاً من الزوجين –لكونهما ركني الأسرة– إلى ما له من حقوق قِبَلَ الآخر، وما عليه من واجبات .

ولعلي هنا أسوق لكل مرشد ومصلح بعض التوجيهات – باختصار – التي جاء بها الإسلام ومن شأنها تحقيق الترابط بين أفراد الأسرة، وتآلفهم . وحقيق بنا تأكيدها، وغرسها في المجتمع وكل أسرة، ومن أهمها:

أولاً: قيام البيت على محبة الله وطاعته: الله وحده الذي بيده أن يوفق ويجمع بين القلوب، فطاعة الله لها أثر كبير في الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة جميعًا، يجتمعون على الخير، بينهم لقاءات وجلسات، وسمر وابتسامات، يتعاونون فيها على البر والتقوى، وتأملوا هذه الصورة الرائعة للبيت القائم على طاعة الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((رَحِمَ الله رَجُلاً قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى، ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ الله امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ)) (١) .

والله – عز وجل– يقول: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (سورة النحل:٩٧) . إنه وعد من الله لمن عمل صالِحًا، من ذكر أو أنثى، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، بأن يحييه الله حياةً طيبةً في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت .

وورد في تفسير "الحياة الطيبة " أقوال منها: الرزق الحلال الطيب، وورد أنها القناعة، وورد أنها السعادة . . . وعقَب ابن كثير في تفسيره على هذه الأقوال بقوله: "والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل

(١) رواه النسائي في قيام الليل، باب الترغيب في قيام الليل (١٦١١) . وابن ماجه في إقامة الصلوات، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل (ح١٣٣٦) .
وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: "حسن صحيح" .

هذا كله كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفَافًا ، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ)) .

إذًا اجتماع الأسرة على ما يرضي الله هو أعظم قاعدة ، وأمتن أساس؛ لبناء السعادة في البيت المسلم ، أما المعصية فلها أثر عجيب في كثرة المشاكل والخلاف وعدم الوفاق ، ومن ثم تقويض أركان الأسرة ، وتشتت الأبناء وضياعهم ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ (سورة الشورى:٣٠) . قال أحد السلف: "إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وخادمي" . ولا يختلفُ اثنان على أنَّ المعصيةَ تجلبُ الهمَّ والغمَّ ، وتولدُ الشقاءَ والتعاسةَ ، وتجلبُ سوادًا في الوجهِ ، وقسوةً في القلبِ ، وتبدِّلُ السَّعادةَ إلى شقاءٍ ، والحبَّ إلى كرهٍ ، إلى غيرِ ذلك . قال ابنُ القيِّم: "وللمعاصي من الآثارِ القبيحةِ المذمومةِ ، والمضرَّةِ بالقلبِ والبدنِ في الدُّنيا والآخرةِ ما لا يعلمُه إلاَّ الله" .

ثانيًا: العِشرة بالمعروف:

كما أمر الله –تعالى–: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيرًا كَثِيرًا**﴾ (سورة النساء:١٩) . وكلمةُ العشرةِ هنا مشتقَّةٌ من المعاشرة والمعايشَةِ والمخالَطةِ . والمعروفُ: كلمةٌ جامعةٌ شاملةٌ لكلِّ خيرٍ ، وليس فقط بين الزوجين ، بل بين أفراد الأسرة كلها ، قال رسول الله ﷺ: ((خَيرُكُمْ خَيرُكُمْ لِأَهْلِه ، وَأَنَا خَيرُكُمْ لِأَهْلِي)) (٢) . وقال ﷺ ((أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا ، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم)) (٣) .

(٢) رواه الترمذي من حديث عائشة ، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح٣٣١٤) .
(٣) رواه أبو داود في سننه ، وأحمد في مسنده ، وهو صحيح كما في صحيح الجامع .

وقد بلغَ النبيَّ ﷺ أنَّ أزواجًا يضربُون زوجاتهم فقال: ((لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ))(٤). لكن على أولئك الذين يطلبون حياة نقية صافية أن يدركوا أن الحياة الطيبة السرمدية والكاملة من كل الوجوه لا تكون إلا في الجنة كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**﴾ (الآية ٦٤ سورة العنكبوت) أي الحياة الكاملة . فحياة الدنيا لا تخلو من المصائب والأكدار والمنغصات، والأمراض والآلام والأحزان ونحو ذلك؛ كما قال الشاعر:

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْواً مِنَ الأقذَاءِ وَ الأَكْدَارِ

ولذا ينبغي على المصلحين التأكيد على أن نطلب الواقعية وليس المثالية في أسرتنا، وأنه لا بد أن يسود جو التسامح والتغافر عن الزلات في الأسرة، ((كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ؛ وَخَيرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))(٥). والتسامح والتغاضي والتغافر من العشرة بالمعروف، وله أثر في السعادة الأسرية واستقرارها واستمرارها؛ فنصيحتي لكل المصلحين أن نردد لكل أسرة تنشد الترابط: أن الإكثار من العتاب والملاحظة، وكثرة التشكي والتبرم؛ مُذهب للمودة، منغص للسعادة، وأن التغاضي عند الزلات، والاعتذار عند الخطأ، وتقبل المشاكل بروح مرحة، وتفهمها وحلها بطرق سليمة، سر من أسرار السعادة الأسرية، فلا تخلو أسرة من مشاكل ومنغصات ومواقف ساخنة، فلا بد من تعويد الناس على هذا الأصل، وأنه أمر طبعي في الحياة الأسرية، فكم هي الأحاديث التي تحكي لنا بعض ما جرى في بيت النبوة بينه ﷺ وبين أزواجه، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(٤) جزء من حديث رواه أبو داود (ح٢١٤٦). وابن ماجه (ح١٩٨٥) كلاهما في النكاح، باب في ضرب النساء. وصححه الألباني في صحيح أبي داود(ح١٨٧٩).
(٥) رواه الترمذي في صفة يوم القيامة، باب في استعظام المؤمن ذنوبه. . .(ح٢٤٩٩). وابن ماجه في الزهد، باب ذكر التوبة (ح٤٢٥١). و أحمد (١٩٨/١). وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (ح٣٤٢٨).

إن نشر ثقافة الاحترام والتقدير المتبادل بين أفراد الأسرة جميعًا، عنصر رئيس في علاج كل المشاكل، فهو أسُّ المعروف الذي أمر الله به، ومكارم الأخلاق التي حث عليها. وإننا لنعجب كيف يكون الاستقرار داخل أسرة يعيش أفرادها، وخاصة ركنيها – الأبوين – على تبادل الشتائم والاتهامات؟! وربما السباب واللعان، أو الضرب!. وهاكم صورة نبوية رائعة عند الانفعال والغضب، يصورها الحبيب ﷺ بقوله: ((نساؤكم من أهلِ الجنَّةِ الودودُ الولودُ، العؤودُ على زوجِها، التي إذا غضبَ جاءتْ حتى تضعَ يدَهَا في يدِ زوجِهَا وتقولَ: لا أذوقُ غمضًا حتى ترضَى!))(٦). هذا ليس إذلالاً للمرأة، بل دليل على رجاحة عقلها، وحسن خلقها؛ وأنها مصدر للسعادة والمبادرة في حل النزاع، بما حباها الله من لطف ونعومة تذيب الحجر.

وخلاصة الأمر: أن على دال الخير– المرشد الأسري – أن يطالب بكتابة قاعدة الحياة بخط عريض على لوحة جميلة تعلق في وسط كل بيت، وقاعدة الحياة هي: الرفق، ((فإِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ)) (رواه مسلم). وقَالَ ﷺ: ((مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ)) (رواه مسلم). وقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)) (رواه مسلم). ما أروع تصدر مثل هذه الأحاديث واجهة كل ساحة وباحة في بيوتنا، تلامسها العيون عند كل حركة، لتنقلها لقاعدة التحكم في جسم الإنسان، ليرسلها بدوره لجميع الأعضاء لتعلن السكينة والتؤدة، في أجواء ذلك البيت.

ثالثًا: وعي وفهم كل واحد من ركني الأسرة لمسؤولياته:

فالأدوار موزعة، ومسؤولية كل واحد مبينة، قال النبي ﷺ ((أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ

(٦) رواه النسائي في السنن الكبرى (٥/٣٦١ح:٩١٣٩). وغيره من حديث ابن عباس، وله شاهد –أيضًا– من حديث أنس أخرجه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (ح٢٦٠٤). وفي الصحيحة (ح٢٨٧).

مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِه، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِه، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِه، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه)) (رواه البخاري) . فالمسؤولية يتحملها الزوجان معًا، فكلٌ عليه تبعات، وكلٌ له مهمات، فالحياة الزوجية تعاون وتعاضد وتفاهم، لكن الملاحظ في واقعنا المعاصر جهل الكثير من الشباب والفتيات بحقوق الآخر مع تشدده وتعنته بالمطالبة بحقوقه هو، فهو يعلم أن له حقوقًا، ويجهل أو يتجاهل أن عليه واجبات، وإن عرفها لم يقم بها، وإن عزم القيام بها فهو لا يعلم كيفية القيام بها ولا الطريق الصحيح لذلك، وهذا سبب رئيس في نسب الطلاق المرتفعة في عالمنا العربي المعاصر . وهنا يكون للمرشد الأسري دور فاعل في توجيه العلاقة الزوجية، التي هي أسمى من أن تكون قائمة على رباط جنسي فحسب، كما يتصورها بعض الشباب من الجنسين!! بل هي مبنية على أساس راقٍ من التعامل والود والإيناس والتآلف وحسن العشرة وبذل المعروف، وأداء الواجبات والالتزامات من كلا الزوجين لحقً صاحبه. فالواجبات متبادلة، والأدوار موزعة عليهما، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ (سورة البقرة:٢٢٨). وقوله ﷺ ((أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا. . .)) (٧). فهل في بيوتنا خطوط عريضة مكتوبة يؤكد فيها كل من الزوجين للآخر أن هذا ما يحبه وما يكرهه، ليعرف كل منهما شخصية الآخر ليحاول إسعاده؟ أنا على يقين أن الإجابة (لا) ؟!، فكلنا يدخل ليلته الأولى في حياته الزوجية، فلا يكتشف الكثير من أساسيات الآخر إلا بعد سنين طويلة، وربما لا يكتشف ذلك، بل يظنها كل طرف في الآخر تعنتًا وتصلبًا.

(٧) رواه الترمذي في الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (ح١١٧٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٨٥١). وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (ح٩٢٩).

رابعًا: فهم حقيقة القوامة والمقصد الشرعي منها:

المرأة لا بد أن تدرك معنى أن القوامة للرجل؛ ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ ؟ (سورة النساء:٣٤). وهذا بحكم الله جلَّتْ حكمته، فلا بد أن يدرك المرشد الأسري أنه: لما تخلَّى بعض الرجال عن هذا التكليف لانشغاله بدنياه، أو لضعف شخصيته وولايته، أو لانغماسه بلهوه وشهوته، استرجلت المرأة، ليس فقط بشكلها، بل بتصرفاتها وجرأتها، وخروجها ودخولها. بل على المرشد الأسري أن يدرك أن المرأة قد تضطر لهذا أحيانًا عند تخلي الرجل أو ضعفه، كما أن عليه أن لا يغفل أن البعض من الرجال فَهِمَ من القوامةِ التسلطَ والصخبَ ورفعَ الصوت، والأمر والنهي، والمعنى الحقيقي للقوامة: إنما هي الشدة في لين، والقوة في الدين، وقد وضح النبي ﷺ هذا المعنى بفعله، فقد كَانَ ﷺ رَجُلاً سَهْلاً، إِذَا هَوِيَتْ زوجته الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ مالم يُغضب الله [٨]. وهذا تطبيق عملي لمعنى القوامة، فالقوامة تكليف أكثر مما هي تشريف، فقد خلق الله المرأة بفطرتها رقيقة عاطفية سريعة التأثر، تحتاج لقوة الرجل وعقله وحسن تدبيره، مع حسن أخلاقه وتعامله ورحمته، فكن أنت هذا الرجل، ولا تكن نصفه أو بعضه.

خامسًا: الشكر والثناء وتقدير جهد كل منهما للآخر وتكرار ذلك:

قال رسول الله ﷺ- وتكرار ذلك، ((لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ)) [٩]. وقال ﷺ

(٨) إشارة إلى ما رواه مسلم في الحج، باب بيان وجوه الإحرام. .(ح١٢١٣). في قصة إعمار عائشة رضي الله عنها من التنعيم، قال جابر رضي الله عنه: ((وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ j رَجُلاً سَهْلاً، إِذَا هَوِيَتْ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَهَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَأَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ مِنْ التَّنْعِيمِ)). قال النووي في شرح صحيح مسلم(٤/٤٢٢): "مَعْنَاهُ إِذَا هَوِيَتْ شَيْئًا لَا نَقْص فِيهِ فِي الدِّين مِثْل طَلَبهَا الاعْتِمَار وَغَيْره أَجَابَهَا إِلَيْهِ.

(٩) رواه أبو داود -واللفظ له- في الأدب، باب في شكر المعروف(ح٤٨١١). والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (ح١٩٥٤) وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح٧٧١٩).

((لا ينظرُ الله –تبارك وتعالى– إلى امرأةٍ لا تشكرُ زوجَها وهي لا تستغني عنه))(١٠). ما أجمل وأروع كلمة الشكر، كلمة بناء ووفاء، وهي كلمة طيبة كم فيها من الصدقات والحسنات، ولذا أعجب كثيرًا ممن يثقل لسانه عن قولها، وتنحبس بحلقه مع أنها لا تكلف شيئًا، لكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، والله يحب الشاكرين .

سادسًا: استمرار الرعاية والسقاية لأساس بناء الأسرة:

بالحب وبالمودة، وبالرحمة وبالرأفة، فالمودة والرحمة تشكلان سياجًا واقيًا لهذا الرباط الوثيق، والميثاق المؤكد، والعهد الغليظ من أن تُقطعَ حبالُه، أوتُهدَمَ أركانُه؛ فرُتِّبَ على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة ما يوطد العلاقة بين الزوجين، ويكفل لهما –بإذن الله– من قيادة سفينة الحياة الزوجية إلى غايتها، وحفظها من الرياح العاصفة، والأمواج العاتية، وإرسائها في شاطئ الأمان، فلا تجد بين اثنين في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة؛ ولا ألفة بين روحين أعظم مما بينهما. قال سبحانه مبينًا هذه النعمة، ومذكِّرًا بها: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة الروم:٢١). وقال: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ (سورة الأعراف:١٨٩). أي ليألفها ويسكن بها .

سابعاً: الحذر كل الحذر من كيد شياطين الإنس والجن، والوسوسة والحسد:

روى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا،

(١٠) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب شكر المرأة لزوجها (ح٩١٣٥). والحاكم (١٩٠/٢) وصححه، ووافقه الذهبي. والبيهقي في السنن الكبرى (٢٩٤/٧). قال المنذري في الترغيب (٢٢/٣):"رواه النسائي والبزار بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح". وقال الهيثمي في المجمع (٣٠٩/٣):"رواه البزار بإسنادين والطبراني، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح". وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٩).

فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ، فَيَلْتَزِمُهُ)) أي يعانقه ويضمه إلى نفسه مادحًا إياه ومعجبًا بصنعه وبلوغه الغاية التي يريدها. هذا جانب من كيد شياطين الجن لهدم أركان الأسرة، وتقويض دعائمها، أما شياطين الإنس فكيدهم كبار، لا يقل خطورة عن كيد شياطين الجن، بل يزيد على حد قول الشاعر:

وكنت امرأً من جند إبليس فارتقى ... بي الدهر حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أحسن بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

ثامنًا: الحوار والمصارحة والتنفيس:

إن أخطر ما يهدد الاستقرار الأسري هو الكبت، وعدم البوح بالمشاعر والمخاوف التي تختلج في الصدر، مما يسبب تخزين المشاكل، ومن ثَمّ تضخيمها، وربما انفجارها – وخاصة بين الزوجين– ، ولكن بمجرد الحديث وإظهار ما في النفس تجاه الآخر، وبالحوار الهادئ، والمناقشة الجميلة، ترتاح النفس وتطمئن، حتى ولو لم يتم التفاهم، فمجرد الحوار خطوة إيجابية فيها خير كثير، فنصيحتي لممارس الإرشاد الأسري أن ينصح الأسر التي يصلح بينها بقوله: تحاوروا، وتشاوروا، واتفقوا، وارفضوا، ويسروا، ولا تعسروا، المهمّ المصارحة والتنفيس بأدب وهدوء، فالمشاورة وتبادل الآراء والسماع لبعضكم وسيلة فعالة للسعادة والاستقرار، والترابط. وقد تعجب بعض شراح حديث أم زرع من حسن خلق النبي ﷺ باستماعه القصة الطويلة من عائشة بدون مقاطعة أو ملل، ثم قوله ﷺ لعائشة –رضي الله عنها–: ((كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ)) (رواه البخاري). يعني في الألفة والوفاء، فقد كان أبو زرع مع أم زرع بهذه الصورة. فقالت عائشة –رضي الله عنها – كما في بعض الروايات: ((بأبي أنت وأمي يا رسول الله! بل أنت خير إليَّ من أبي زرع)) (١١).

(١١) رواه النسائي في عشرة النساء، باب شكر المرأة لزوجها (ح٢٥٥). والطبراني في الكبير (٢٣/١٧١–١٧٣).

ثانياً: صور من حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم في أسرته

د. إبراهيم الدويش

لأن النبي ﷺ هو المرشد الأول، وهو القدوة في حياة المسلمين، كان بناؤه ﷺ لأسرته وتعامله مع أزواجه، وتوجيهه وإرشاده للمؤمنين رجالاً ونساءً هو النموذج الحي والمثل الأعلى لكل مسلم ومسلمة، فالحياةُ الزَّوجيَّةُ في بيته ﷺ أنموذجٌ رائعٌ نذكِّرُ به المصلحين والمرشدين، في الاتِّباعِ والتأسِّي به في كيفية المعالجة والإرشاد؛ ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ (سورة الأحزاب:٢١). ولذلك أمرَ الله –عزَّ وجلَّ– نساءَ النبيِّ أن يخبرنَ بكلِّ ما يدورُ في بيته ﷺ. حتى ولو كانَت هذه الأخبارُ أسرارًا زوجيَّةً، فقال الله –عزَّ وجلَّ– مخاطبًا نساءَ النبي ﷺ ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب:٣٤). وبدراسة حياة النبي ﷺ داخل بيته، ومعاشرته لزوجاته رضي الله عنهن، وإرشاده للمؤمنين يتضح أن الأكدار والمواقف الساخنة في الحياة الأسرية لا يخلو منها بيت، وليست الأسرة السعيدة هي التي تخلو من مشاكل، بل هي التي تعرف طريقة حل مشاكلها، وكم هي الأحاديث التي تحكي لنا حكمة وحنكة النبي ﷺ في الإرشاد والتوجيه، والتعامل مع المشاكل الأسرية، حتى كان ﷺ شديد العناية بالمشاعر وفهم النفسيات، قبل التوجيه والإرشاد؛ كما في حديث عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((إِنِي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى)) قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ: ((أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ)) قَالَتْ: أَجَلْ –وَاللَّهِ– يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ)) (رواه البخاري). هكذا يبين الحديث دقة عناية الرسول ﷺ بمشاعر عائشة

وانطباعاتها حتى صار يعلم رضاها وغضبها من أسلوب كلامها، وإذا تم فهم النفسية جيدًا كان الوعي الرفيع في التعامل مع المشاكل، فأُم سَلَمَةَ رضي الله عنها أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَّزِرَةً بِكِسَاءٍ، وَمَعَهَا فِهْرٌ – حجر –، فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ فِلْقَتَيْ الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَحْفَةَ عَائِشَةَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ)) (١٢).

فانظروا لحسنِ خُلُقه ﷺ وإنصافه وحلمه، وتأملوا في حسنِ تصرُّفه وعلاجه لهذا الموقفِ بطريقةٍ مُقنعةٍ، معلِّلاً لهذا الخطأ من عائشةَ –رضي الله عنها– بقوله: ((غارَت أُمُّكم، غارَت أُمُّكم)). فهو يقدِّرُ نفسيَّةَ عائشةَ ولذا لم يذمّها ﷺ، لأنَّ أمَّ سلمةَ هي التي جاءَت إلى بيتِ عائشةَ تقدِّمُ للنبيِّ ﷺ وأصحابه هذا الطَّعامَ، ولذلك قدَّر النبيُّ ﷺ هذا الموقفَ، وتعاملَ معه بلطفٍ وحكمةٍ صلواتُ الله وسلامُه عليه. وقدَّرَ ما يجري عادةً بين الضرَّائرِ من الغيرةِ؛ لمعرفته ﷺ أنَّها مركَّبَةٌ في نفسِ المرأةِ، وقد تكون الغيرة سببًا رئيسًا في تفكك الأسرة، وقد ينفخ الشيطان في روع أحد الزوجين في هذا الجانب، حتى لا يبقى للعيش الهنيء قدر، بل نكد وشكوك وسوء ظن.

قال شراح الحديث: "فِيهِ إِشَارَة إِلَى عَدَم مُؤَاخَذَة الْغَيْرَاء بِمَا يَصْدُر مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا فِي تِلْكَ الْحَالَة يَكُون عَقْلهَا مَحْجُوبًا بِشِدَّةِ الْغَضَب الَّذِي أَثَارَتْهُ الْغَيْرَة". وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى بِسَنَدٍ لَا بَأْس بِهِ عَنْ عَائِشَة مَرْفُوعًا " أَنَّ الْغَيْرَاء لَا تُبْصِر أَسْفَل الْوَادِي مِنْ أَعْلَاهُ ".

وهكذا يتبين أثرفهم طبيعة المرأة وخلقتها التي فطرها الله عليها، وفهم النفسيات من الطرفين خطوة مهمة وركيزة أساس في حل المشاكل.

(١٢) رواه النسائي –واللفظ له– في عشرة النساء (٣٤٠٨). وصححه الألباني في "الإرواء" (٥/٣٦٠). وأصل الحديث أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس في المظالم من حديث أنس، باب إذا كسر قصعة أو شيئًا لغيره (ح٢٤٨١)

وتعالوا لموقف آخر في بيت النبوة:

عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ الله عَنْهَا– قَالَتْ: ((مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ – رضي الله عنها –، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ؟! فَيَقُولُ: ((إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ)) (متفق عليه). هدوء عجيب من الحبيب ﷺ، وفهم عميق لنفسية المرأة وفطرتها وما جبلت عليه، وَلِهَذَا لَمْ يَزْجُر النَّبِيُّ ﷺ عَائِشَةَ عَنْ ذَلِكَ، بل إن الْغَيْرَةَ المعتدلةَ تضفي جوًّا من السعادة والإثارة.

– وتعالوا –أيضًا– لجانب آخر في بيت النبوة، وفقه التعامل مع نزغات الشيطان، وحظوظ النفس البشرية، ولا يخلو جو أسري من هذا مهما كان: فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا ؟

تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ: ((لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ)) قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: ((مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا)) [١٣]. سبحان الله! تصحيح للخطأ بتوجيه ونصح جميل، دون تعنيف أو صراخ أو تهديد، ويتكرر هذا في بيت النبوة مرة أخرى، بل مرات. . . ومن ذلك: ما رواه أَنَس، قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ؛ فَبَكَتْ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِي بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ((إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟)) ثُمَّ قَالَ: ((اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ)) [١٤]. تأملوا الموقف جيدًا، إنصاف للمظلوم، وثناء وتزكية،

(١٣) رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح

١٤) رواه النسائي والترمذي وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ

دون إساءة لحفصة، بل كلمة ربانية، وتذكير برقابة سماوية، وغرس وازع الدين في النفس.

وقفوا –معاشر المرشدين– مع إرشاده ومشورته ﷺ لفاطمة بنت قيس كما في صحيح مسلم أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ((لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ)) فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ، ثُمَّ قَالَ: ((تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى، تَضَعِينَ ثِيَابَكِ، فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي)) قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ)) فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: ((انْكِحِي أُسَامَةَ)) فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ)). قال النووي: "وَفِيهِ دَلِيل عَلَى جَوَاز ذِكْر الْإِنْسَان بِمَا فِيهِ عِنْد الْمُشَاوَرَة وَطَلَب النَّصِيحَة، وَلَا يَكُون هَذَا مِنْ الْغِيبَة الْمُحَرَّمَة، بَلْ مِنْ النَّصِيحَة الْوَاجِبَة. وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاء: إِنَّ الْغِيبَة تُبَاح فِي سِتَّة مَوَاضِع؛ أَحَدهَا: الِاسْتِنْصَاح... وَأَمَّا إِشَارَته ﷺ بِنِكَاحِ أُسَامَة فلما عَلمهُ مِنْ دِينه وَفَضْله وَحُسْن طَرَائِقه وَكَرَم شَمَائِله فَنَصَحَهَا بِذَلِكَ، فَكَرِهَتْهُ لِكَوْنِهِ مَوْلًى، وَقَدْ كَانَ أَسْوَد جِدًّا، فَكَرَّرَ عَلَيْهَا النَّبِيّ ﷺ الْحَثّ عَلَى زَوَاجه، لما علم مِنْ مَصْلَحَتهَا فِي ذَلِكَ، وَكَانَ كَذَلِكَ، وَلِهَذَا قَالَتْ: ((فَجَعَلَ اللَّهُ لِي فِيهِ خَيْرًا وَاغْتَبَطْت)). انتهى.

وأيضًا إرشاده ﷺ لفاطمة أشرف نساء العالمين، فقد كانت تخدم زوجها؛ فأَتَتْ إليه، تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنْ الرَّحَى، وَبَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَقِيقٌ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ؛ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ. قَالَ علي رضي الله عنه فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: ((عَلَى مَكَانِكُمَا))

فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: ((أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا -أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا- فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ)) (متفق عليه). لقد عالج النبي ﷺ هذا الموقف بلمسات تربوية رائعة، وأرشدهما إلى علاج إيماني، رغم أن مشكلة الخادم اليوم – مع بساطتها- قد تكون سببًا رئيسًا في كثير من حالات الطلاق والمشاكل الأسرية، فقد تكبر وتتضخم لدى بعض البيوتات لأتفه الأسباب، وقد نصنع من الحبة قبة كما يُقال، وأذكر هنا موقفًا طريفًا يُعبر عن مثل هذه الحالات، فيُذكر أن امرأةً جلسَت تحادثُ زوجَها، وتطرَّقَ الحديثُ إلى المستقبَلِ كعادةِ الأزواجِ، فقالت: إنَّها ستجمعُ صوفًا، وتغزلُه وتبيعُه، وتشتري به بَكرًا! – الجمل الصغير – فقال زوجُها: إذا اشتريته فسأكونُ أنا الذي أركبُه، قالت: لا أنا أحق بركوبه!! فألحَّ زوجُها، فرفضَت، وأصرَّ ولم ترجِع هي، حتى غضبَ زوجُها فطلَّقَها!.

هذا المثلُ بغض النظر عن صحته يوضِّحُ حقيقةَ الحالِ في كثيرٍ من المشاكل أو حالات الطَّلاقِ في بعض البيوت لأسبابٍ تافهةٍ، فكثيرٌ من المشكلاتِ وهميَّةٌ تنتهي بنهايةِ الحياةِ الزوجيَّة، وللأسف!.

ومن التطبيقات والمواقف الجميلة في حياته ﷺ ما روى النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا، أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ؟! قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ((يعني كأنَّهُ جعلَها خلفَه يريدُ أن يخلِّصَها من أبيها))[١٥] قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لَهَا يَتَرَضَّاهَا: أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ؟ قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي

(١٥) ما بين الأقواس شرح للحديث وليس منه.

فِي حَرْبِكُمَا))[١٦]. رجعَت العلاقةُ مرَّةً أخرى بحسنِ معالجته للموقف بطريقة ودية، مع مداراتِه لزوجِه بالاعتذارِ والملاطفة منه ﷺ.

لقد كان المرشد الأول ﷺ بشرًا من البشر، ولذا ومن خلال التطبيقات السابقة يتضح كيف كان ﷺ يؤكد كل مرة تلك البشرية والواقعية، وتبسيط التعامل معها من هذا المنطلق دون احتقان وغليان، وسوء ظن واتهام، بل لقد كان أزواج النبي ﷺ يراجعنه في الكلام، وتهجره الواحدة منهن إلى الليل؛ ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((. فَتَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي؛ فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟! فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِه ﷺ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، لَا تُرَاجِعِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَا تَسْأَلِيهِ شَيْئًا، وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْسَمَ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكِ، يُرِيدُ عَائِشَةَ)).

ومن الطريف هنا أن أشير إلى موقف عمر ﷺ فيما يروى عنه أن دخلَ عليه زوجٌ أشعثُ أغبرُ ومعه امرأتُه وهي تقولُ: لا أنا ولا هذا! فعرفَ كراهيَةَ المرأةِ لزوجِها، فأرسلَ الزَّوجَ ليستحمَّ، ويأخذَ من شعرِ رأسِه، ويقلِّمَ أظافرَه، فلمَّا حضرَ أمرَه أن يتقدَّمَ من زوجتِه، فاستغربَتْهُ، ونفرَت منه، ثُمَّ عرَفَته فقبلَت به، ورجعَت عن دعواها، فقال عمرُ: فهكذا فاصنعوا لَهُنَّ، فوالله إنَّهُنَّ ليحببنَ أن تتزيَّنُوا لَهُنَّ كما تحبُّون أن يتزيَّنَّ لكم.

١٦) رواه أحمد -واللفظ له- (٢٧٢/٤و٢٧٥). وأبو داود في الأدب، باب ما جاء في المزاح (ح٤٩٩٩). والنسائي في الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب رفع المرأة صوتها على زوجها (ح٢٧٣). وصححه الحافظ في الفتح (٢٧/٧). قال الألباني في ضعيف أبي داود (ح١٠٦٣): "ضعيف الإسناد".

ثالثاً: أساسيات في فهم الأسرة ووظائفها

د. عمر المديفر

ثمة علم متكامل خاص بالأسرة يقوم على فهمها ودراستها والبحث في تفاصيل تفاعلاتها، ومنه نشأت علوم متعددة من أهمها علم التواصل الإنساني وعلم الأرشاد الأسري وتبعهما علم العلاج الأسري بمدارسه ومبادئة المتعددة والمختلفة.

وهناك أساسيات مهمة، محددة وواضحة تعين على تكوين مفهوم تحليلي وتشكيلي للأسرة ومن ثم القيادة إلى قراءةٍ أفضل للأسرة وواقعها وفهمها والقدرة على إرشادها بشكل أفضل، ومن ذلك:

١- أنَّ العائلة شبكة علاقات منتظمة ومستقرة:

ويراد بذلك أن أفرادالأسرة بينهم علاقة تبادلية متوازية ومتقاطعة وأن كل فرد فيها لديه دور معين يقوم به بشكل منتظم يحفظ له وللأسرة دورها ويحقق أهدافها واستمرارها. أما القصد من استقرارها فهو أن الأسرة تحتوي على توازنات معينة في داخلها تضمن لها استقرارها وبقاءها، وهذا الاستقرار بالطبع لا يعني الجمود ولا يعني أن الأسرة تبقى على حال واحدة لا تتغير بل الأسرة كيان متغير ومنتظم من حيث تفاوت أعمار أفرادها ومنتظم من حيث قدرة الأسرة على البقاء في حالة منتظمة من الأدوار لكل فرد فيها.

وكل أسرة قد تمر بحالة من عدم الاستقرار واختلاط في النظام وفي شبكة علاقاتها المستقرة المتحركة لأسباب طارئة أو دائمة وهذا هو الأصل في كل أسرة ولهذا ليس المهم معرفة هذا التغير، ولكن الأهم كيف تتعامل الأسرة مع هذا التغير، فإذا مرت بتغير ما ولم تستطع التفاعل معه بطريقة إيجابية فقد يؤدي ذلك إلى اضطراب واختلال خطير في نظامها المستقر مما يؤدي إلى انفجار مشاكل ربما ليس لها

علاقة بالتغيير لكنه يكون بسبب فشل الأسرة في التأقلم مع هذا المتغير . . ولتوضيح هذه الفكرة يمكننا النظر إلى أمثلة لهذه التغيرات مثلا: الانتقال من منزل إلى منزل آخر . أو إنجاب مولود جديد للأسرة . أو إصابة أحد أفرادها بمرض حاد أو مزمن . أو وفاة أحد أفرادها . أو زواج أحد الأبناء وانتقاله إلى بيت الزوجية . فالبنت الكبرى مثلاً إذا تزوجت وانتقلت إلى بيت زوجها وهي التي كانت تشارك الأم أعمالها وتقوم بدعم لها ، فإن الأم ستحتاج إلى شخص آخر من نفس العائلة يقوم بتلك المهمة وغالباً ما تكون البنت التي تليها . وها هنا يجب أن نسأل: هل البنت الصغرى موجودة فعلاً؟ أو أنها غير موجودة؟ وهل تستطيع تلك البنت تقديم الدعم للأم؟ وهل تعرفت على الكيفية المناسبة لتقديم ذلك الدعم؟ هذا بالطبع تغير بسيط أدى إلى حدوث اختلال بسيط في نظام الأسرة ويتطلب منها التفاعل معه إيجابياً والتغلب عليه ولكن المشكلة قد تتخذ أبعاداً أخرى إذا لم توجد البنت البديلة أو أنها لا ترغب أو لا تستطيع القيام بنفس المهمة أو لم تعطها الأم فرصة للقيام بهذه المهمة . وبالتالي فمن طريقة تعامل الأسرة مع الأمر ومدى ما سيحدثه من تغير يمكننا أن نقوم الأسرة إيجابياً أم لا .

٢- أنَّ العلاقات الأسرية دائماً في حركة:

نلحظ مما سبق ذكره أن التغير أمر من صميم البناء العائلي لذلك يؤكد علماء الفكر والاجتماع على أن العلاقات بين أفراد العائلة دائماً في حركة وتغيير ، وأنها تتصف بعدم الثبات مع الثبات العام في مكوناتها والثبات السطحي في طبيعة علاقاتها ، وهم يصفونها أحياناً بأنها علاقات جدلية بمعنى أنها قائمة على التغير المستمر فمثلاً علاقة الوالدين بالطفل منذ ولادته تتغير بتقدمه في العمر تبعاً لنمو الطفل وللعلاقة التي يمكن أن تنشأ بين الوالدين والطفل وتبعاً لظروف الوالدين . . . والسر يكمن في قدرة كلا الطرفين على تقبل التغيير والقدرة على ضبط العلاقة بحسبه ، وكما سنذكر لاحقاً فإنَّ هذا التغير جزء من دورة

حياة العائلة التي يحتاج الأفراد فيها إلى التأقلم مع مراحلها المتغيرة وفي حال فشلهم في ذلك تحصل أزمات وربما مشكلات لاحصر لها .

٣ - أنَّ كل العلاقات تتأثر وتؤثر:

كل العلاقات تتأثر وتؤثر في بعضها البعض لكل فرد يعيش داخل العائلة ولا تحصل بمعزل عن بقية أفراد الأسرة الآخرين ، حتى الأطفال الصغار وكذلك الوالدين ، فمثلاً عندما يمرض الطفل الصغير ويحتاج لدخول المستشفى لفترة طويلة تتجاوب الأم مع هذا التغير بطرق مختلفة مع أفراد الأسرة وقد تتبدل علاقتها مع زوجها وكذلك ربما تختلف علاقة الأب مع الأبناء ويطرأ جو جديد على الأسرة وقد يكون لهذا التغير أو غيره أثر كبير في حياة العائلة ، وكذلك التغيرات الإيجابية تحدث آثارا متعددة ، وبعض التغيرات قد تترك آثارها لفترات طويلة في حياة العائلة فتصبح تجربة لا تنسى إن كانت إيجابية أو سلبية وبذلك تتعلم العائلة كيف تستفيد من تجاربها أو تضطرب بسبب عدم قدرتها على اعادة التأقلم والحفاظ على الأسرة .

٤- أنَّ كل فرد فاعل بحسب موقعه:

كل فرد فاعل بحسب موقعه داخل الأسرة فكل أفراد الأسرة فاعلون ولا يوجد بينهم من هو سلبي أو من لادور له سواء أحس به أم لم يحس به ، حتى الأولاد الذين يعيشون خارج محيط العائلة بسبب زواج أو دراسة أو ظرف دائم أو مؤقت يؤثرون في نظامها واستقرارها وكذلك هم يتأثرون ، فإذا افترضنا وجود ابن سلبي داخل الأسرة يتسم بالانعزال عن باقي أفرادها ، فإنه سيؤثر على استقرار العائلة ونظامها على الرغم من سلبيته وانعزاله وكذلك إذا أخفق في دراسته أو تعرض لمكروه ما لأن الأسرة لا تستطيع أن تستغني عن أي فرد من أفرادها أو أن لا تتأثر به وبظروفه وواقعه لأن الأسرة كالجسد الواحد إذا اختل

عمل أحد أعضائها اختل عمل بقية الأعضاء، أو اختلف عن ذي قبل.

- تصنيف الأسر وأنواعها:

يقسم علماء الاجتماع الأسرة إلى عدة تصنيفات، وقد سبق الإشارة إلى بعضها لكننا هنا سنذكرأكثرها شيوعاً وهو التصنيف الذي يقوم على "عدد أفراد الأسرة ومكان إقامتهم" على النحو التالي:

١- الأسرة القريبة من العائلة الممتدة [(١)]:

وهي الأسرة التي يعيش فيها الابن أو البنت قريباً من عائلته الممتدة بعد زواجه وانفصاله عنها، فيكون بينه وبين الأسرة الممتدة علاقة تؤثر في دوره داخل الأسرة النواة التي أنشأها.

٢- **الأسرة النواة**: هذه الأسرة غالبا ما تضم الزوج والزوجة وما يتبعهم من أبناء وبنات فقط، ويدخل في تكوينها في المجتمع الحديث العاملون في المنزل من خدم أو سائقين وماشابههم.

٣- **الأسرة الممتدة**: وهي الأسرة الأصل أو المصدر وينحدر منها الزوجان، ولها دور كبير في صياغة تصور الفرد لدوره داخل الأسرة النواة التي ينشئها في المستقبل.

٤- **الأسرة المنفصلة**: وهي التي يعيش فيها أحد الزوجين مع الأولاد منفصلاً عن الطرف الآخر.

٥- **الأسرة البعيدة**: عن العائلة الممتدة: وهي الأسرة التي يعيش فيها الابن أو البنت بعيداً عن عائلته الممتدة بعد زواجه وانفصاله عنها.

وظائف الأسرة:

١- **الإنجـــاب**: وهو الهدف الأسمى من الزواج. . . به يحفظ النوع الإنساني ويعمر الكون وتستقر النفوس بحصول امتدادها واستمرار ذكرها من خلال الذرية.

٢- **الإعالة**: تتضمن الجوانب المادية والاقتصادية والمحافظة الجسدية وتعليم الدين والأخلاق أيضا.

(١) (هذه إضافة أضفتها من عندي تناسب الواقع السعودي)

٣- التنشئة الاجتماعية: ويقصد بها اكتساب المهارات الاجتماعية الضرورية، و هو الدور الأساس للأسرة لأنها المحضن الأول والأساسي للطفل، وهي المسؤولة عن تعليمه مهارات التفاعل الاجتماعي، ليخرج الابن أو البنت في الأسرة وهو قادر على تكوين علاقات كاملة وناضجة مع الأطراف الآخرين في المجتمع وفي الأسرة.

أما الأسرة المضطربة تربوياً أو المفككة ستولد أنماطاً أخلاقية غير مناسبة للأبناء وتورثهم عادات قد تؤدي إلى اضطراب علاقاتهم الاجتماعية مستقبلاً. فالأسرة تقوم بدورها في التنشئة الاجتماعية بشكل آلي وهي تشعر أو لا تشعر بأهمية ذلك، ويبدأ هذا الدور منذ بداية تكون هذه الأسرة لكن المشكلة تكمن في الأنماط التربوية التي تعتمدها للقيام بعملية التنشئة من حيث السوية أو الاضطراب. وما ذكرناه عن الأسرة المضطربة لا يعني أن هذه الأسرة لا ترغب في تنشئة أبنائها التنشئة الملائمة لكن أحياناً وبتأثير عوامل عديدة منها الجهل بالوسائل التربوية المناسبة أو لأسباب مرتبطة بطبيعة شخصية الأبوين وعوامل أخرى توقع الأسرة في أزمات عنيفة تعطل دورها التربوي وبالتالي بدلاًمن أن تنتج أفراداً منتجين وقادرين على التعامل مع الواقع من خلال ما اكتسبوه من مهارات اجتماعية من الأسرة يحصل العكس ويتحولون إلى عبء على أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم.

و نؤكد على أن دور الأسرة المعاصرة في تعليم أبنائها مهارات التعامل الاجتماعي أصبح أكثر أهمية من ذي قبل لضعف ممارسة هذا الدور من مؤسسات المجتمع الأخرى، وهذا الأمر ينعكس بوصفه أسلوب تعامل قائم على الأبناء بشكل مباشر تعليمي وبشكل غير مباشر نفسي، من ذلك على سبيل المثال: أسلوب الضبط الاجتماعي والذي يعني الكيفية التي يستطيع الابن من خلالها ضبط نفسه عند التوتر فالأسر الغاضبة دائماً أو الناقدة أو العائلة التي تستخدم الضرب كوسيلة تربوية أساسية، يجد

أفرادها صعوبات بالغة في ضبط أعصابهم مستقبلاً لأنهم لم يتلقوا أساليب مناسبة في التنشئة الاجتماعية، والضبط الاجتماعي الكافي لذواتهم.

٤- **منح المكانة**: من الوظائف الأساسية للأسرة، منح المكانة لأفرادها، وإشعارهم بالانتماء النفسي والاجتماعي والمادى وحتى الجغرافي والقبلي. وهذا هو الشيء الذي يختلف فيه الأطفال اللقطاء والأيتام عن الأطفال الذين يعيشون في العائلة والأسرة. فاليتيم أو اللقيط تتولد لديهما صعوبات فيما يتعلق بانتمائهما لأنهما افتقدوا خصلة منح المكانة التي تقدمها الأسرة غالباً والدراسات النفسية المتعلقة بالأسرة تزخر بالأبحاث التي تشير إلى الضرر النفسي الذي يلحق بالفرد حينما لا يجد أسرة ينتمي إليها ولا تمنحه الانتماء اللازم لكل نفس بشرية.

٥- **الإشباع العاطفي**: وهذه من الوظائف التي يغفل عنها الكثيرون، بل حتى الأبحاث أهملت هذا الجانب لمدة طويلة حتى تم تدريجيًا الإحساس بأهميتها من خلال أبحاث محورية غيرت التفكير في مجال الصحة النفسية بشكل جذري. وهذ الوظيفة تنبع من أن الإنسان يكتسب القدرة على التعامل مع الغضب ويتعلم كيف يشعر بالرضا وأيضا يتعلم كيف ومتى يفرح ؟ومتى وكيف يحزن؟ يتعلم هذا كله داخل الجو الأسري، ولكي يصل إلى النضج في التعبير عن مشاعره وعواطفه لابد من إشباعه عاطفياً داخل الجو الأسري. فالإنسان الذي يعيش في أسرة مفككة ومتوترة وغير ناضجة عاطفياً أو في أسرة تتعامل مع أفرادها بطريقة سيئة ولا تهيئ لهم فرصة للتعبير عن أنفسهم قد يكون لديه صعوبات في التعبير والنضج العاطفي. ، وقد تنتج هذه الأسر أفراداً يعانون العديد من الاضطرابات النفسية والعاطفية أو لا توجد لديهم القدرة على ضبط مشاعرهم أو التعامل إيجابياً مع انفعالاتهم.

و حينما يتم تدريب أحد المرشدين الأسريين يتم تعليمه أنه يجب عليه أن يعرف أن من المهم في

تقييم أي حالة أو مشكلة أن يجيب عن أسئلة مثل:

هل الأسرة التي ينتمي إليها استطاعت منح أفرادها فرصة للتعبير عن مشاعرهم؟

هل استطاعت تلك الأسرة إشباع أفرادها عاطفياً؟ مع الملاحظه أن مصطلح الإشباع ليس المقصود به النظرة العامة السطحية لدى الكثيرين لكنه يشمل قدرة الفرد على التعبير عن المشاعر وعلى قراءتها بشكل جيد والتواصل مع الآخرين بناء عليها وأن لاتكون المشاعر نقطة ضعف لديه يستغل من خلالها .

هل استطاعت تلك الأسرة التوافق إيجابياً مع التغير والتنقل من مرحلة إلى أخرى؟

ما نوع التواصل بين أفراد تلك الأسرة؟

هل يتعامل الأفراد في تلك الأسرة بوضوح؟

هل الأدوار موزعة بين أفرادها بشكل عادل؟

كل هذه الأسئلة وغيرها تبين إلى حد ما وضع الفرد داخل العائلة، ونستفيد من خلالها في عمليات الفهم والوصول إلى الإرشاد المناسب .

رابعاً: متغيرات مهمة لفهم واقع الأسرة المعاصرة

د. عمر المديفر

تمر الأسرة السعودية والخليجية والعربية بمأزق حرج وبتهديد لكيانها ووجودها من خلال موجة التغييرات التي طرأت عليها وعلى واقعها. ولفهم الأسرة المعاصرة ولتمكين المرشد الأسري من فهم المشاكل الأسرية ينبغي أن نستعرض بعض هذه المتغيرات و بعضاً من تطبيقاتها على مشكلات أسرية معينة من خلال سرد بعض الأمثلة الواقعية وإشارة لأثر المتغير في إيجاد أو تضخيم بعض الصعوبات الأسرية.

١) التغير الاقتصادي: النقلة الاقتصادية الكبيرة التي مر بها العالم وتحوله من عصر الشدة والتقشف إلى عصر الرخاء والترف والترفية أمر واضح لايحتاج إلى دلالة أو توضيح لكن هذا التغيير تميز بصفات متعددة ونتج عنه تغيرات في نمط الحياة. فمن صفات هذا التغير أنه سريع جدًا وحاد جدًا لدرجة أنه خلخل التوازن الاجتماعي والصحي وربما السياسي والتعليمي بشكل لايكاد يوصف. حتى إنَّ هذا الانتقال من سرعته جعلنا لا نُدرك جميعاً طُرق التعامل مع هذا التغير وطرق التأقلم معه بسهولة. إن عقلية الوفرة والرخاء التي يعيشها إنسان اليوم، تختلف كلياً عن عقلية الشدة والضنك التي عاشها إنسان الأمس ولهذا نتائج متعددة تضرب في عمق صميم الحياة الأسرية وظروفها، وكذلك قدمت عقلية الوفرة أنماطاً حياتية جديدة ومتغيرات نمطية شديدة لابد من الحوار الاجتماعي حواليها والوصول إلى نمط أفضل للتعامل معها، ومن هذه التغيرات النمطية على سبيل المثال مايلي:

أ- **الترفيه**: أصبح الترفيه جزءاً أساسياً من نمط أي حياة أسرية ولعل الترفيه أيضا ضرورة عصرية بسبب الحياة المتسارعة المتوترة التي يعيشها الإنسان المعاصر، فأصبح الإنسان بحاجة مستمرة إلى أن يرفه عن نفسه، لأن الحياة أصبحت معقدة ومليئة بالأزمات أما في الماضي فلم نسمع إطلاقاً عن وجود حاجة

ملحة للترفيه الواضح جدًا والطارئ على يوميات الحياة الأسرية ، وعدم التأقلم مع هذا المتغير بسبب الغفلة أو عدم الإدراك والجهل . . . وكذلك المبالغة فيه من ناحية أخرى والذي ربما يكون سبباً لبعض المشكلات العائلية والأسرية التي تعرض على من يتولون الإرشاد الأسري في المجتمع

ومن أمثلة ذلك : مُبَالَغةْ كثيرٍ من الأسر في الترفيه عن أبنائهم حتى يتأصَّل هذا النمط في الأبناء وبعد ذلك يبدأ اللوم من قبل الوالدين للأبناء بهذا الخصوص ، ولهذا يكون الطريق هو تعليم وتوجيه الوالدين على التوسط في هذا الباب وكذلك التغيير التدريجي لهذه السياسة عند توجههم نحو مزيد من الجدية ، أما الدخول في نقاش عقيم ولوم متبادل فلن يغير النمط بدون جهدٍ تدريجي ، وأذكر أنَّ أباً تغيرت فلسفته في الحياة فدخل جراء ذلك في خصام شديد مع كل أفراد الأسرة بسبب استعجاله في فرض نمطٍ حياتيٍ جديد رغم أنه أفضل من حيث الجدية والنجاح لكنه لم يمارس نقاشاً ولا تجهيزاً لهم .

مثال آخر: إحساس الأهل بأهمية الترفيه قد يؤدي إلى تحمل ديون والتزامات تؤثر سلباً على الأسرة بأشكال متعددة ، فالضيق المادي يؤثر في علاقات الأسر المباشرة لأن الوالدين يعتقدان أهمية المال من أجل الترفيه ، بينما الطفل يريد سلاماً ولو بدون مال ، ويريد رضاً ولو بدون ترف . ، وأذكر أنَّ أباً هرب من مسئولية الأُبُوَّة بسبب إحساسه بالنقص لأنه يعتقد أنه لايستطيع أن يكون أباً جيداً بدون وفرة مالية ، ولم يتنبه هذا الأب إلى أن هناك أنماط من الترفيه لاتحتاج إلى مزيد مال مثل الخروج إلى البرَّ والرحلات العائلية البسيطه ، لكنه اختار المخدرات للهروب من واقعه بسبب فكرة خاطئة عن الأهمية الكبرى للمال بسبب هذا المتغير العصري .

ب - الاستهلاك: نمط من الأنماط الجديدة التي أوجدها التغيير الاقتصادي ، ونعني به تحول عقلية الفرد من عقلية الإنسان المنتج إلى عقلية الإنسان المستهلك . فالناس ومن كل الأعمار وكل الطبقات

أصبحوا بحاجة إلى تحقيق رغبات استهلاكية كثيرة جداً لاحصر لها ولانهاية ، وهي في الوقت ذاته تتطلب منهم أموالاً وفيرة ولن تأتي هذه الأموال إلا بمضاعفة الجهود وهذا بدوره يعني التعرض إلى ضغوط نفسية وبدنية لا يستهان بها ، إذ من المعلوم أن واحداً من مصادر الاضطرابات النفسية في هذا العصر نمط وطبيعة المهن الجديدة وما تتطلبه من شروط وميزات وما تفرزه من مشكلات وأزمات ، فالشخص أصبح في عمل مستمر ولفترات طويلة ، وأصبحنا نجد المرأة أيضاً في عمل ، ونسمع عن أعمال للأطفال ، ولهذا التغير أثر كبير على الأسرة وعلاقاتها ونظامها ووقتها مما يؤثر بالضرورة على طبيعة العلاقات الحميمية والدفء العائلي . ولهذا أصبح هناك مفهوم الإجازة السنوية وآخر الأسبوع والذي يفترض أن يستغله الناس لأجل إمضاء وقت مشترك والحفاظ على القرب بين أفراد العائلة ، ولكن هذا ليس بالضرورة مايحصل مما يخلق مشكلات كبيرة لبعض الأسر .

أمثلة : الزوجة التي عملها صباحي وزوجها عمله مسائي ينشغلان في العطلة الأسبوعية كل بأهله مما ينتج عنه فتور العلاقة الزوجية تدريجياً بينهما .

مثال آخر: أب ينشغل بأعماله والأم تتحمل كل الهم العائلي حتى يبلغ الأولاد سن المراهقة وهنا تبدأ الأم تبحث عن دعم الزوج الذي تعود أن لادخل له في تربية أولاده ممايتسبب في أن تبدأ العلاقة الزوجية في التدهور .

٢) التغير الاجتماعي :

في فترة قصيرة جداً انتقل المجتمع من نمط اجتماعي معين إلى نمط جديد مختلف تماماً عماسبق حتى حدثت تغيرات ومظاهر اجتماعية مست شكل الأسرة وتركيبها بطرق متعددة ومن نواح مختلفة كلها ذات أثر كبير في الواقع الأسري بدون أي شك ، ومن هذه المتغيرات على سبيل المثال:

● **انتقال الأسرة من أسرة ممتدة إلى أسرة نواة** : في الماضي وُجِدَ مايُعْرف بالأسرة الممتدة أي المكونة من الأب والأم والأبناء وزوجاتهم ، والأحفاد هذه هي الصبغة التي كانت سائدة في المجتمع لفترة طويلة من الزمن ، وكانت الخدمات التربوية والنفسية و كذلك المادية تقدم من أفراد الأسرة لكل أفرادها بالعموم مما أحدث توازنات مختلفة عن نمط الأسرة الحديث . أما الآن ومع وجود تغيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة وكثيرة ومتراكمة . تولد نمط اجتماعي شبه جديد هو ما أصبح يعرف "بالأسرة النواة" أي المكونة من الزوج والزوجة وأطفالهما فقط . ولذلك أصبحت الأسرة النواة بحاجة إلى دعم نفسها بنفسها في كافة الخدمات المادية والتربوية والنفسية ، وهذا جعل الضغوط على الوحدة الأسرية أكثر من ذي قبل وأشد بحكم حاجة الأسرة لتلبية متطلباتها النفسية والاجتماعية باستقلالية عن الآخرين: ويشمل هذا العناية بالأطفال والحاجة للتنفيس النفسي وكذلك إعداد الطعام وتفاصيل الحياة اليومية والتعامل مع الاحتياجات وقت المرض أو غياب أحد الأفراد لسبب أو لآخر . وهنا لا نغفل أن في هذا الوضع إيجابيات مثل وجود تقارب أكثر بين الزوجين والأب وبناته والأم وأبنائها الذكور وغير هذا من إيجابيات النمط الجديد .

أمثلة من المشاكل المرتبطة بهذا النمط :

● **انعدام الدعم النفسي والاجتماعي من الأسرة الكبيرة:** حاجة الزوجين حديثي العهد بالزواج للدعم النفسي والاجتماعي من الأسرة الكبيرة وعدم توفر هذا الدعم بسبب هذا النمط الجديد أو لعادة السفر في شهر العسل والتي قد لاتكون إيجابية في كثير من الأحيان .

● **التباعد الجغرافي :** بعد أن كانت الأسرة تعيش في منزل واحد ، يجتمع فيه كل أفرادها تقريباً صاروا الآن مشتتين كل منهم انتقل إلى منطقة جغرافية معينة بسبب ظرف عملي أو دراسي أو غيرهما ،

فالابن مثلاً يعيش في منطقة لأن عمله أو دراسته فيها بعيداً عن أبيه وأمه وباقي أشقائه. ولهذا السبب صار الابن بحاجة إلى أن يدعم نفسه بنفسه مادياً ونفسياً واجتماعياً وأن يواجه الحياة بمفرده بكل ما تحمله من متاعب ومخاطر وإغراءات ومستجدات في الوقت الذي لم يتح له بعد الإعداد الكافي لمواجهة مثل هذه المواقف.

الفردية : في الماضي كان الشخص الذي يعيش في عائلة ممتدة يقوم بتقديم دعمه إلى باقي أفرادها كما يتلقى الدعم منهم أيضاً وتكون الروح التبادلية هي السائدة إلى حد كبير وهذا يمنح شعوراً بالأمان والاطمئنان ووجود من تستند إليه وقت الحاجة. أما الآن فالأفراد صاروا كثيري الحديث عن احتياجاتهم الخاصة، وتركز حديثهم حول موضوعات شخصية بغض النظر عن سلبياتها أو إيجابياتها فابتعدوا عن التعاون فيما بينهم وهذا أيضاً بدوره زاد الشعور بأنك تواجه الحياة منفرداً والمهم هنا ليس فقط أنك تعيش لوحدك بل إننا عموماً لم نهيأ لمثل هذا الأمر ونحن لا نمتلك المهارات الكافية للعيش وفق هذا النمط وبالتالي أزمتنا تتضاعف.

● **عمل المرأة** : في خضم هذه التغيرات أصبح دور الأم أكثر وضوحاً وأكبر أهمية مما قبل فلا شك أن الدور التربوي للأم بات ملحاً بصورة لا مناص من وضعها موضع البحث والتمحيص بشكل يحقق الأهداف الأساسية للأسرة ويضع السؤال الذي سبق ذكره عن (مشكلة الأسرة ككل وكواقع) في مكانه المناسب. فحتى يحافظ مجتمعنا على مكتسباته التربوية ويتمسك بها، صار من الضروري جداً إيجاد صيغة جديدة ومناسبة لعمل الأمهات، فغياب الأم المتكرر أو المستمر عن المنزل أحدث نمطاً جديداً من ارتباط الطفل بأمه.

٣) المجتمع المغلق والمجتمع المفتوح :

لقد شملت التغيرات تركيبة المجتمع أيضاً حيث كانت المجتمعات تأخد طابع المجتمع المغلق الذي لا يحتاج إلى أكثرمن مهارات معينة وبسيطة يحافظ من خلالها الأفراد على مكتسباتهم التربوية والاجتماعية، وهذه المهارات تختلف في أسلوبها عن المهارات المستخدمة في المجتمعات الحالية التي تتسم بأنها مجتمعات مفتوحة، فالمجتمع السعودي مثلاً. كان ولفترة غير بعيدة مجتمعاً مغلقاً، وسائل التوجيه والتأثير فيه محدودة جداً، فبجانب الأسرة هناك المسجد والمدرسة والشارع، الذي يمثل انعكاساً لما يحدث داخل البيوت.

وإضافة إلى ذلك فإن الأحياء كانت متكاملة، كل فرد فيها مسؤول عما يحدث ويعمل جاهداً لقمع الظواهر المخالفة، وكل شخص كان يعيش في الحي ينتمي إليه ويحميه بل ويقدم دعمه إلى الأطراف الآخرين الذين يعيشون داخلٍ الحي، فمثلاً: كانت النساء في الحي يجتمعن في مهمات تجهيز أغذية معينة وطبخات محددة ليطبخن سوياً ويساندن بعضهن البعض، وهذا العمل على الرغم من عفويته يخلق نوعاً من الدعم النفسي للنساء بين أفرادهن، فكل امرأة منهن كانت تجد فرصتها للتنفيس عما بداخلها، وكانت تتلقى ما يخفف عنها من النساء الأخريات، وهذه الظاهرة الاجتماعية البسيطة كانت تشكل دعامة اجتماعية كبيرة للنساء بكافة أنواعهن وطبقاتهن، وهكذا بالنسبة لمجتمع الرجال والصبيان والفتيات، والواقع أن نقص المساندة المعتادة العفوية التي وجدت تاريخياً يشكل قلقاً لدى الباحثين في شؤون الأسرة والمجتمع و معظم المجتمعات أصبحت تبحث عن حل لهذه الظاهرة بشكل نظامي أو بشكلٍ عفوي، ففي أحد مؤتمرات العلاج العائلي قدم اليونانيون مشروعاً اقترحوا فيه "عمل جلسة أسبوعية لنساء الحي غير العاملات "يهدف إلى تقديم دعم نفسي مشترك فيما بينهن، والسبب

في طرح هذا المشروع أن المجتمع اليوناني ككثير من المجتمعات كان مجتمعاً تقليدياً وبسيطاً جداً، لديه نظامه العفوي التقليدي من مساندة النساء لبعضهن البعض عن طريق الاجتماع الصباحي والذهاب للسقي من النهر جماعياً وهذا كله يوفر صور متعددة من الدعم والمساندة وفرص التنفيس عن النفس وبث الهموم المشتركة لكنه بدأ يتجه إلى الانفتاح والفردية كغيره من المجتمعات مما أفقده روح الدعم التقليدية وكذلك تقلصت التفاعلات الإنسانية العفوية مما أدى لضعف التداخل البسيط والمهم نفسياً ومن ثم أصبح الناس عموماً وخاصة الأمهات اللاتي لايخرجن كثيراً و يعشن في البيوت في شيء من العزلة يفتقدن الدعم من المجتمع. وتبعاً لظاهرة انفتاح المجتمعات أيضاً بدأت تتعدد وسائل التوجيه في مجتمعنا فبجانب الأسرة والمسجد والمدرسة هناك التلفزيون والدش والانترنت والصحف والمجلات والأصدقاء.. إلخ و أصبح الابن أو البنت ليسوا كما كانوا من قبل يتلقون التوجيهات من جهات محددة بل أصبح الميدان مفتوحاً، ونظراً لهذا الاختلاط الثقافي والاجتماعي أصبحت الأسرة بحاجة لبذل مجهودات أكبر في مراقبة الأولاد وتوجيههم ومساعدتهم على الاحتفاظ بتوازنهم والنجاح في حياتهم عموماً.

● **التلفزيون مثلاً** : كإحدى وسائل التوجيه الحديثة، صار يقدم أنماطاً تربوية جديدة، فلو أخذنا أفلام دزني البسيطة على سبيل المثال سنلاحظها تقدم نمطاً تربوياً قد يؤثر في المبدأ والمعتقد (مكي ماوس، المارد الذي يعيش فوق الغيوم، الصليب، الرجل المجرم والعدواني صاحب الذهن في باباي....). وعلى الرغم من ذلك وماعداه من شاكلته فإننا لا نقصد الانعزال أو التخلي عن الخدمات والوسائل المتاحة والمتوفرة حولنا، وألاَّ نستفيد منها فلو أردنا ذلك فلن نستطيع ولكن علينا وعليك أن ننتبه وأن ندرك بأن مجتمعنا قد أصبح مجتمعاً مفتوحاً يحتاج إلى مهارات أكثر وأعمق من تلك المهارات المستخدمة في المجتمع المغلق. كى نحفظ هويتنا بكافة أنواعها، سواءً أكانت هوية دينية أو وطنية أو عائلية

لأنها باتت مهددة، ولذا فنحن بحاجة إلى معالجة ذلك من خلال مشاريع قومية وليست مشاريع ذاتية أو فردية تقوم على أسس ربانية سليمة صادقة هادفةً خَيرْيْ الدُنْيَاوالآخرة.

٤) - الحياة المعقدة:

كانت حياة الناس بسيطة، فالإنسان يعيش في قرية بسيطة محدودة ولديه حياة منتظمة على نظام محدد خال من التعقيدات والمواعيد والالتزامات الأخرى ولكنه بانفتاح المجتمع وازدياد المسؤوليات والارتباطات أصبح يعيش حياة معقدة. فصارت حياة الشخص عبارة عن مجموعة من الارتباطات والمواعيد وعليه الالتزام بها. فهناك الدوام الرسمي، يبدأ من الصباح إلى ما بعد الظهر، وهناك الارتباطات الاجتماعية، والانتدابات والمناوبات، كل هذه وغيرها أدت إلى وجود مفاهيم وأنماط جديدة في واقعنا وحياتنا جعلت منها سمة العصر الكبرى:

● **ضيق الوقت** : يشعر الأشخاص وكأن وقتهم قصير جداً، ومزدحم ومليء بالمواعيد. فمثلاً الذي يسير في الشارع وينظر إلى السائقين في الطرق حوله سيلاحظ وكأن الناس يعيشون تحت شعور كبير بالضغط، حتى لو لم يكن شعورهم صحيحاً ومنطقياً، وهذا المعطى الجديد "ضيق الوقت" وَلَّدَ نمطاً جديداً في حياتنا يسمى الإجازة. ففي الماضي كان الناس لا يشعرون إطلاقاً بالضغط النفسي أو البدني الذي نعيشه الآن، و كانوا ربما لا يحتاجون إلى إجازة أو إلى فترات توقف عن أعمالهم، فالمزارع يعمل في حقله طوال السنة بحسب الموسم واحتياجاته، وكذلك التاجر يلازم بضاعته على مدار العام ولا يفارق أعماله إلا لسبب ضروري وهام كأداء فريضة حج أو عمرة. أما حاجة المجتمع الحديث للإجازة فصارت ضرورية وكبيرة، بسبب الضغوط النفسية والمهنية المستمرة. ولكن ومع وجود معطيات جديدة والتي من أهمها الفردية أصبح الشخص لا يعرف هل الإجازة له ولأموره الشخصية ومشاريعه الخاصة، أم لعائلته

وزوجته وأطفاله وهذا فتح باباً من أبواب الخلافات الأسرية. هذا الإشكال نمر به جميعاً، ويمر به الزوجان العاملان على حد سواء والأولاد أيضاً يأخذون إجازتهم المدرسية ولا يوجد لديهم خطط أو وضوح و علم بالأشياء التي عليهم فعلها خلال تلك الإجازة مما يحدث توتراً داخل البيوت أيضاً في وقت الإجازة بسبب التوتر بين الوالدين والأبناء ونمط السهر وطرق قضاء وقت الفراغ. وأيضا هناك كثير من الأشخاص ممن عندما تبدأ إجازتهم، يشعرون أو يقررون بأنها لهم وحدهم. فيتركون عوائلهم ويتفرغون لأمورهم الخاصة سواء جادة أو ترفيهية مثل السفر أو الخروج إلى البر لمدد قد تطول وقد تقصر لكنهم يبدون متناسين أنهم بحاجة إلى أن يعيشوا مع أبنائهم بدون تأثير ضغوط العمل والدوام والانشغال الذهني والبدني المهني، وأن أبناءهم أيضاً يحتاجون أن يعيشوا معهم وأن يشعروا بحنانهم وأن يشعروا بإسنادهم النفسي لهم. وهذا مما يباعد بين الأب وأبنائه وإن كان التعميم صعباً في مثل هذه الظاهرة وماشابهها.

دور الأسرة المصدرة :

المهارات الاجتماعية والنفسية متعلمة موروثة

من القضايا الهامة التي ننساها كثيراً ونغفل عنها أن مهاراتنا الاجتماعية التفاعلية والمتعلقة بدورنا كأفراد شبه موروثة لأن الكثير يعتقد أنها عشوائية أو ربما متعلمة نظرياً أو يقرر الفرد منا كيف يمارسها بطوعه وتفكيره والواقع غير ذلك فهي موروثة من خلال التعلم من البيئة التي تربينا فيها وعشنا فيها لمدة طويلة أي الأسرة الأصلية التي عشنا فيها وهكذا فكل أب يصبح أباً كما رأى والده وهو أب ويكرر الكثير من سلوكاته وممارساته بوعي أو بغير وعي، و كذلك يربي أبناءه كما رأى أباه يربي أشقاءه بنفس الأسلوب والطريقة. كما أنه سيصبح زوجاً كما رأى والده زوجاً ويعامل زوجته بنفس الأسلوب الذي قد اتبعه والده مع أمه. وكذلك الأمهات والزوجات يمارسن نفس الشيء.

ولإيضاح هذه المسألة يجب أن نتذكر أن الوحدة الزوجية هي عبارة عن شراكة بين شخصيتين مختلفتين يدخلان فيها ويبدأان في بناء واقع جديد لكل منهما مما ينتج وحدة مختلفة تماماً عن الشخصيات التي تمارس بنائها ولهذا نقول في وصف الأسرة إنها ليست الزوج والزوجة بل الوحدة الزوجية الجديدة.

مثال:

أحمد تزوج هدى

هل تكون الوحدة الزوجية أحمد وهدى؟

أم أحمد زائد هدى؟

أو هدى زائد أحمد؟

الواقع أن الوحدة الزوجية أمر مختلف تماماً فهي جوانب معينة في شخصية أحمد وشخصية هدى تتفاعل لتنتج وحدة زوجية جديدة، ولهذا يلاحظ على البعض تغيرات كبرى في شخصيته قبل الزواج وبعد الزواج أو أنه داخل التفاعل الزوجي يصبح إلى حد ما شخصاً آخر مختلفاً عما كان عليه قبل الزواج.

ولهذه الممارسات أوجه قصور ولها علاقة ببعض المشكلات الأسرية والعائلية والزوجية التي يعيشها الناس ولكن هذا لا يعني إطلاقاً بأن أساليبنا الموروثة سلبية أو أنها سيئة لكنها في بعض الأحيان غير كافية وفي أحيان أخرى غير ملائمة للتعامل في هذا الوقت والزمان والواقع المختلف، حيث كان لآبائنا وأمهاتنا وضع معين ، ولنا وضع مختلف عنهم تماماً وفقاً لما أحدثته هذه المعطيات الجديدة في حياتنا ولن يرفق بنا الواقع أو يتغير لصالحنا مالم نغير بعض ممارساتنا التربوية و إذا ما تقاعسنا عن إدراك هذه المهمات الجديدة لأن للواقع الجديد شروطه التي لا بد من توافرها عبر دراسات علمية دقيقة وكما سبق وأشرنا أيضاً

عبر مشروع قومي شامل يعالج المشكلات ويطرحها على حيز الحوار والتنفيذ ما أمكن فلن يكون الأمر في صالحنا لأن المجتمع المفتوح قادم بتدفق أسرع بكل تأكيد وبكل ما يحمل من التحديات الاجتماعية وبكل ما يتطلب من مهارات جديدة.